

تفسير السعدي

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُتُونَ

{ وَقَالُوا } أي: اليهود والنصارى والمشركون، وكل من قال ذلك: { اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا }

فنسبوه إلى ما لا يليق بجلاله، وأساءوا كل الإساءة، وظلموا أنفسهم. وهو - تعالى - صابر

على ذلك منهم، قد حلم عليهم، وعافاهم، ورزقهم مع تقصيرهم إياه. { سُبْحَانَهُ } أي: تنزه

وتقدس عن كل ما وصفه به المشركون والظالمون مما لا يليق بجلاله، فسبحان من له

الكمال المطلق، من جميع الوجوه، الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه. ومع رده

لقولهم، أقام الحجة والبرهان على تنزيهه عن ذلك فقال: { بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ } أي: جميعهم ملكه وعبده، يتصرف فيهم تصرف المالك بالمماليك، وهم

قانتون له مسخرون تحت تدييره، فإذا كانوا كلهم عبده، مفتقرين إليه، وهو غني عنهم،

فكيف يكون منهم أحد، يكون له ولدا، والولد لا بد أن يكون من جنس والده، لأنه جزء

منه. والله تعالى المالك القاهر، وأنتم المملوكون المقهورون، وهو الغني وأنتم الفقراء، فكيف

مع هذا، يكون له ولد؟ هذا من أبطل الباطل وأسمجه. والقنوت نوعان: قنوت عام: وهو

قنوت الخلق كلهم, تحت تدير الخالق، وخاص: وهو قنوت العبادة. فالنوع الأول كما في

هذه الآية، والنوع الثاني: كما في قوله تعالى: { وَقَوْمًا لِلَّهِ قَانِتِينَ }